المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الثالث - الإصدار الثامن والثلاثون
تأريخ الإصدار: 20 ديسمبر 2022 م

التسامح الفكري في الإسلام

Intellectual Tolerance in Islam

إعداد الباحث/ محمد مصطفى راشد

أستاذ التربية الإسلامية للناطقين بالإنجليزية والعربية، مؤسسة الإمارات الدولية للتعليم، دبي، الإمارات العربية المتحدة

Email: m.rashed19920@gmail.com

ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة الى اكتشاف طبيعة التسامح كما قدمها الإسلام فقد دعا الإسلام إلى العفو والتسامح، وهو فضيلة أخلاقية مهمة في الحياة؛ إذ إن التسامح يؤدي إلى إزالة الأضغان والأحقاد وينقذ حياة الناس؛ ولهذا حبب الإسلام الناس إلى التسامح والصفح؛ وفي التسامح توثيق للروابط الاجتماعية التي تتعرض إلى الوهن والانفصام بسبب إساءة بعض الناس إلى بعضهم الآخر، وجناية بعضهم على بعض، وهذا عكس التسامح الفكري الذي يقوم على نيل مرضات الله سبحانه وتعالى، وهو سبب للتقوى، قال تعالى: (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ). ولم يدع الإسلام إلى التسامح فحسب بل دعا أيضًا إلى مقابلة السيئة بالحسنة؛ لأنها أكبر عامل لزيادة المودة بين الناس؛ ذلك أن الإنسان المسيء عندما يرى الإحسان ممن أساء إليه يقدره. آثار التسامح على الفرد. آثار التسامح الدنيوية، إنّ للتسامح آثاراً تعود على الشخص المتسامح، ومن هذه الآثار ما يلمسه في الدنيا، ومنها: شعور المتسامح بالسعادة، حيث يجد في نفسه هناء وطيب عيش لأنه لا يقلق من تبدل الأحوال والأوضاع، فهو يشعر دائما بالرضا. وكسب محبة الناس وثقتهم، حيث إن المتسامح يحبه الناس ويجدون فيه الشخص اللّين، فهو يعامل الناس بلطف وإحسان. آثار التسامح الآخرويه للتسامح أيضاً آثار في الآخرة تعود على المتسامح، ومنها: اكتساب رضا الله تعالى عن الشخص المتسامح ومحبته، فمن أحب الناس ورضي لهم الخير أحبه الله. دخول الجنة، فالشخص المتسامح لا يعتدي على الآخرين ولا يقوم بأذية الغير، بل هو دائم الإحسان إلى الآخرين. هناك 5 طرق لتعزيز التسامح، كن مثقفا، قدر قيمة التنوع، اختلط بالأخر، انظر بعيون الاخرين، رأيك ثواب يحتمل الخطأ. ل هذا يقودنا للتسامح مع الاختلاف الفكري.. وكما قال الإمام الشافعي: رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب.

الكلمات الافتتاحية: التسامح الفكري، العفو، القران، الاختلاف، الرحمة، السنة.

Intellectual tolerance in Islam

Mohamed Mostafa Rashed

Secondary Islamic Teacher in English and Arabic

Abstract:

This research aims to discover the nature of intellectual tolerance as presented by Islam. Islam called for forgiveness, and intellectual tolerance is important moral virtue in life. Intellectual tolerance leads to the removal of grudges and saves a person's life. That is why Islam endeared people to tolerance and forgiveness to encourage people to have a mutual social relationship of social bonds that are subject to weakness and schizophrenia due to the abuse of some people, and the offense of some of them against each other. The opposite of intellectual tolerance, which depends on attaining Allah's blessing and is a reason for the pleasure of Allah. The Almighty said: (Graciousness is closer to righteousness. And do not forget kindness among yourselves). Establishing the values of coexistence and tolerance creates opportunities for cooperation and the exchange of knowledge benefits based on mutual respect as well as benefiting from the services provided by other societies in various fields, which contribute to the progress and development of the nation and present a shining Image of Islam.

Effects of tolerance in the Hereafter include gaining Allah's pleasure and the love of a tolerant person. Whoever loves people and is satisfied with them is loved by Allah. Entering Paradise, a kind person does not transgress or harm others, but is always benevolent towards others. 5 Ways to Promote Tolerance Education Appreciate Diversity Socialize Seeing Through Others Eyes Your Opinion Is a Bonus It Can Be Wrong. So, this leads us to assume the intellectual difference.

Keywords: Intellectual tolerance, Mercy, diversity, Forgiveness, Qur'an, Sunnah.

1. مقدمة:

يشهد العالم في الوقت الراهن العديد من مظاهر التطرف وحرب الأيدولوجيات، نتيجة العنف والتعصب في الرأي وهو الأمر الذي يهدد البشرية جمعاء ويمثل تحديا للحضارة الإنسانية، وقد حاولت العديد من المجتمعات مواجهة هذا التعصب الفكري، وفي مقدمة هذه الحلول هو التسامح الفكري بين البشر، وقد حث الإسلام على التسامح مع الناس في جميع مجالات الحياة، فالتسامح يتضمن اقرارا بإن البشر مختلفون في افكارهم ومعتقداتهم التي يؤمنون بها، ولهم الحق في العيش بأمان دون فرض للرأي، او اجبار على اعتناق المعتقدات، قال تعالي (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)، وذلك لما له من اهمية كبيرة في تحسين العلاقات بين افراد المجتمعات وتوطيد مبدأ التعايش السلمي، وبهذا نجد ان التسامح الفكري لا يقتصر على الجانب الاجتماعي فقط وانما يتعداه ليشمل جميع جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والفكرية، فالمتأمل في الكون يجده في قمة الانسجام رغم الاختلاف في مظاهرة وظواهره فلا يتعارك الليل والنهار، ولا نجد اليابسة تكره البحر، ان استمرار هذا التنوع والانسجام من اسرار بقاء الكون، وبديل هذا التنوع والانسجام هو الفناء، وقد بين الإسلام ان التسامح الفكري من القيم والمبادئ الأساسية التي يستند اليها في نشر هذه الرسالة السامية بين البشر.

فقد كان إرسال النبي صلي الله عليه وسلم رحمة للعالمين، قال تعالي (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)

1.1. أهمية الموضوع

تتجلي اهمية التسامح الفكري في محاولته ابراز حقيقة التسامح الفكري الذي يتفق مع مبدأ التعايش السلمي بين البشر بغض النظر عن معتقداتهم او افكارهم وذلك من منظور الإسلام، فالإسلام ينظر بين الاختلاف بين الناس على إنه امر طبيعي بسبب تفاوت افهامهم واغراضهم وطاقتهم الفكرية والبدنية.

2.1. إشكالية الموضوع

تعالج هذه الدراسة قضية التسامح الفكري من حيث رؤية الإسلام، بمعنى اكتشاف مفهوم التسامح وحقيقته كما يراه الإسلام، وتسعى في ذلك إلى بناء نظرية شاملة للتسامح من هو: ما طبيعة التسامح الذي يقدمه القرآن منظور القرآن. ولتناول الموضوع، ستطرح الدراسة سؤالً مركزي الكريم؟ ًطبعا هذا السؤال سينجم عنه مجموعة من أسئلة أخرى منها: ما مفهوم التسامح الفكري وحدوده؟ وما اثاره؟ وما مدى أهميته للإنسان والمجتمع؟ ثم اليات التسامح الفكري وصور التسامح في القرآن والسنة؟ وما مميزات الرؤية القرآنية للتسامح مقارنة بغيرها؟ إلى غير ذلك من أسئلة مناسبة تسعى هذه المحاولة المتواضعة للإجابة عنها.

3.1. أسباب اختيار الموضوع

يعود اختيار الموضوع إلى أسباب عديدة بين ذاتية وموضوعية، ومنها:

أهمية موضوع التسامح الفكرة، خصوصا في الوقت الراهن، مع غياب دراسة وافية بالغرض الذي نسعى إليه.

حرصي على فهم طبيعة التسامح الفكري كما يراه القرآن الكريم والسنة النبوية.

- ارتباط الموضوع بتخصصي العلمي الذي هو الشريعة الإسلامية والفقه المقارن.

4.1. أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى:

- بيان أهمية التسامح في حل الخلافات الفكرية وترسيخ مبدأ التعايش السلمي بين جميع افراد المجتمع.
- اكتشاف طبيعة التسامح الفكري الذي يقدمه القرآن الكريم والسنة النبوية.
- إبراز حقيقة التسامح وآلياته منظور الإسلام مع الربط بالأدلة الشرعية.
- بيان مظاهر التعايش والتسامح مع المخالفين في العقيدة

5.1. منهج الدراسة

فقد تبنت الدراسة المنهج الاستقرائي المتمثل في تتبع الأليات التي تعكس رؤية الإسلام للتسامح الفكري، ثم الوصفي التحليلي الذي يتجلى في تحليل المعاني انطلاقًا من التحليل الدلالي للأمور الهامة في تحديد رؤية الإسلام لمفهوم التسامح الفكري من خلال السياقات التي تحكم نظرته إلى العالم، من حيث نتوصل إلى تفسير منطقي مدعم بالأدلة والبراهين.

2. الدراسات السابقة

من خلال البحث عما كتب في موضوع التسامح الفكري، فقد توصلت بدراسات عديدة حاولت أن تستجلي رؤية الإسلام للتسامح الفكري، ولعل من أبرزها:

- مختار خواجة،» التسامح تجاه الآخر المسيء في القرآن الكريم، مجلة أديان مركز الدوحة

الدولي لحوار الأديان (، العدد 12(أيار/ مايو 2019،ص 104-115. وهو بحث تناول فيه الكاتب الرؤية الإسلامية التي تتعلق بالتسامح الفكري مع الشخص المسيء، كالصفح. وتوصل فيه إلى أن فكرة التسامح القرآني تجاه المسيء لا تسمح بتمديد الإساءة، بل تضبطها بالعفو وفتح أبواب الحوار. ونلاحظ أن هذا البحث - وإن حاول أن يكشف رؤية الإسلام للتسامح الفكري - كان مركزا على جانب محدود وهو التسامح تجاه المسيء.

- سالم عبود حسن، آيات التسامح في القرآن الكريم، مجلة الجامعة العراقية، مج 34، العدد 1، 2016، ص 26-49. وهو بحث تناول آيات التسامح في القرآن في أربعة مباحث، هي: مفهوم التسامح، والتسامح في القرآن، وأنواع التسامح، ثم صور من التسامح القرآني. ويلاحظ فيه أنه مع محاولة الكتاب في اكتشاف التسامح القرآني، الا أن دراسته للآليات لم تكن مستوعبة، فضلً عن إغفال الكاتب عن التعرض لأليات ومميزات التسامح في القرآن مقارنة بغيره.

مفهوم التسامح الفكري وأهميته

مفهوم التسامح

أ. المعنى الوضعي

التسامح في الوضعي اللغوي من جذر كلمة سمح بمعنى جاد وأعطى عن سخاء، ويقال سامح وتسامح أي الين في المعاملة، ورجل سمح أي سهل. إذا يأتي من مادة سمح التي، كما يقول أحمد بن فارس، تدل على السلاسة والسهولة.

ب. المعنى السياقي

إذا كان أئمة اللغة قد اتفقوا في تحديد المعنى الوضعي والجذر اللغوي لكلمة التسامح، فإن ذلك لم يمنع وجود الخلاف في ضبط مفهومه السياقي؛ إذ تعددت التعريفات واختلفت في تحديد المفهوم الاصطلاحي له، بسب الاختلاف في المرجعيات، والتنوع في طبيعة النظر اليها. فمنهم من عرفه كأبي العلى المودودي (معناه ان نتحمل عقائد غيرنا وعمالهم على انها باطلة). ويبدو أن التعريف فيه لمحة عن الجانب الديني كما تعبر عنها عبارة تحمل العقائد.ّ وهناك من عرفة بأنه: (المساكنة والتعايش في إطار رؤية إسلامية تحترم حق الأخر في الرأي والعقيدة والفكر) ونلاحظ أن هذا التعريف أوسع من إطار رؤية إسلامية تحترم حق الأخر في الرأي والعقيدة والفكر السابق؛ إذ يشمل احترام الأخر سواء فيما يتعلق برأيه الفكري أو الديني، ولكنه يبقى محدودا في إطار الرؤية الإسلامية.ً وفي خارج العالم الإسلامي، نجد أيضا محاولات عديدة لضبط معنى التسامح.

---

1 انظر: أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور، لسان العرب، ط 3 (بيروت: دار صادر، 1414هـ، مج 2،ص 490.

2 انظر: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السالم محمد هارون) بيروت: دار الفكر، 1979) ج 3،ص 99.

3 أبو ألعلى المودودي، الإسالم في مواجهة التحديات المعاصرة، تعريب خليل أحمد الحامدي، ط 4 (الكويت: دار القلم، 1980) ص 39.

4 نقلً عن: سليمان دريع علي، حقيقة التسامح في الإسالم الكويت: مكتبة ابن كثير، 2009) ص 11.

إذ تم تعريفه، وفقا لبنود منظمة اليونسكو سنة 1995م، بأنه (الإحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا والأشكال وفي هذا ألأخير نلاحظ أن المعنى كان أشمل؛ إذ تعلق الأمر بتقدير العنصر البشري والصفات الإنسانية بغض النظر عن الاعتبارات الأخرى الموجودة في التعاريف السابقة .والذي نستخلصه من ذلك كله أن مفهوم التسامح، رغم اختلاف التعريفات في تحديده لاختلاف ً المرجعيات وطبيعة النظر، يبقى متضمنا لمعناه الوضعي الذي هو التساهل؛ إذ هو يمثل التساهل في ً الحقوق الذي يفضي إلى قبول الاخر واحترام اختياره سواء كان فكرة أو دين ً أو بلدا، أو تعلق الأمر بما لا دخل له فيه كجنسه أو عرقه. وذلك مما يجعل العلاقة بين المعنى الوضعي والمفهوم الاصطلاحي علاقة قوية.

كما يجعلنا نخرج بخلاصة وهي أن التسامح يعني احترام حق الأخرين في التمتع بحقوقهم وحرياتهم وثقافاتهم ويقابله التعصب والانغلاق الفكري الذي يرفضه الإسلام ويمقته سواء اكان من أجل جماعة، او مذهب، او فكر. فالتسامح يتضمن إقرار بأن البشر مختلفون في افكارهم ومعتقداتهم، ولهم الحق في العيش بأمان دون فرض للآراء او إجبار على المعتقدات.

مظاهر التعايش والتسامح مع المخالفين في العقيدة

اولاً: سماحة في العقيدة والعبادة

قال تعالي (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا) فإذا كان التسامح يعكس قبول الرأي الأخر واعتبار صفته الإنسانية واحترام حقه، فإن هذا يجعله يتناول جوانب عديدة نظرا الى اختلاف طبيعة المجال الذي ينظر إليه. وقد تجلي مبدأ التسامح في الإسلام مع المخالفين في العقيدة في ثلاثة جوانب

1- تأصيل حرية الاختيار لهم قال تعالي (مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ).
2- تأصيل مبدأ الحوار معهم بالتي هي أحسن قال تعالي (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)
3- احترام الخصوصية الدينية التعبدية لهم. فحرية التدين تتماشي مع احترام حرية الشخص في التدين وعدم التعصب للتوجه، ولا يستلزم قبول صالحية دين الغير أو التنازل عن المعتقد. وكذلك الفكرة أو الرأي ونحوهما من كل ما ينبع عن الاختيار ً ولم يرتبط بالدين، ينبغي أن يجري فيه التسامح، لأنه يعكس نوعا من مجالاته.

نقلا عن: عبد الباسط عبد الرحيم عباس» مبدأ التسامح في إطار المواثيق الدولية والتشريعات العراقية النافذة، مجلة العلوم القانونية والسياسية كلية القانون والعلوم السياسية-جامعة ديالي، عدد خاص 2012، ص 517، شوهد في 5/4/2020،في https://bit.ly/2Xis5GX

ومن الاهمية بمكان أن نشير إلى أن بعض الباحثين حاول تقسيم أنواع التسامح باعتبارات أخرى مثل ما فعل سالم عبود حسن الذي قسمه إلى المادي والديني والفكري والعرقي. انظر: سالم عبود حسن، (آيات التسامح في القرآن الكريم)، مجلة الجامعة العراقية، مج 34، العدد 1(2016،) ص 35-36 . ً ومثل ما حاول أيضا سليمان الدريع الذي يقسم مجالاته إلى المعاملات، والدماء، والحكم. انظر: سليمان دريع علي، مرجع سابق، ص 21-22، ونلاحظ أن هذه التقسيمات كلها حصر للتسامح في بعض أنواعه ولا تشمل جميع مجالاته.

ثانيا: سماحة في المعاملة.

وقصدنا بهذا الصنف ان في القرآن الكريم آيات عديدة تأمر بالعدل والإحسان فقد قال تعالي (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُواۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَاتَّقُوا اللَّهَۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)
وهذه النصوص مطلقة وتشمل الجميع فلقد بني الإسلام على التسامح في علاقاته ولم يضق ذرعا بإصحاب الديانات الأخرى وشرع للمسلم ان يكون حسن التعامل طيب الروح حسن الخلق مع المسلم وغير المسلم فلا يفرق بين انسان وآخر بناء على لون بشرته أو عرقه أو جنسه من ذكر أو أنثى،

أو حتى بلده الأصلي فكل هذه المجالات يدور فيها مفهوم التسامح وينبغي أن يتمتع فيها بحيز التطبيق. . وما يفهم من هذا كله أن التسامح يشتمل على أشكال وأنواع متعددة، منها سماحة في العقيدة والعبادة، وسماحة في المعاملة.

أهمية التسامح

إن الاختلاف بين البشر شيء طبيعي ومقصد رباني يؤكده القرآن الكريم، والسنه النبوية، فقد حدد الإسلام طبيعة الإنسان بربة ونظم علاقته مع بني جنسه مسلمين وغير المسلمين على اسس وضوابط تجعل من الاختلاف سنة إلهية لحكمة عظيمة يعلمها الله تعالي ً والتسامح إذا بهذا المفهوم يمثل الحل السلمي لقبول الآخر سواء من حيث الدين أو العرق أو الثقافة، وتكمن اهمية التسامح فيما يلي:

1- التعاون مع المخالفين يؤدي الى التعاون والتآلف ونبذ العنف وبذلك يعيش الناس حياة راقيه مطمئنة.

2- فالتسامح يؤدي الى تبادل الخبرات الحياتية وقد ادي التسامح الى انتشار الإسلام في بقاع الأرض.

3-حرية التدين والعبادة التي اقرها الإسلام على الفرد والمجتمع ولهذا أصبحنا اليوم في حاجةً ملحة الى التسامح الفكري والذي لقي اهتماما كبير على الصعيد العلمي والاجتماعي؛ إذ جعلت منظمة الأمم المتحدة ترسيخ مبادئ التسامح ضمن المواد. كما اعتبر حلً للصراعات العالمية.

7- انظر: خولة مرتضوي، (التسامح وقبول الآخر في الفكر الإسلامي«، مجلة أديان) مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان) ، العدد 12(أيار/ مايو 2019، ص47 بتصرف يسير.

8- الأمم المتحدة، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، 1948/12/10، المادة 26، شوهد في 2020/4/7، في bit://http 3aNB2fN/ly

صور وامثلة عن التسامح

صور التسامح في القرآن الكريم

1- بالمفهوم الذي تناولناه يحيل إلى احترام حق الآخر، ولاشك في أن هذا النوع من التصرف يعود إلى منحى أخلاقي، ويتطلب أعلى الصفات الكريمة من التواضع والرحمة وحسن المعاملة والسلوك الطيب، قال تعالي (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ) فقد شرع الإسلام من الأحكام ما يقرب العلاقة بين المسلمين واهل الكتاب فأباح اكل طعامهم والزواج من نسائهم، وفي ذلك دعوه لتقوية التواصل معهم والمودة، وهذا ذروة التسامح الديني حيث ان الزوجة تكون ام لأولاده.

2- قال تعالي (وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) وفي هذه الآية الكريمة تتجلي صور التسامح في القرآن الكريم واضحة وجلية مع غير المسلمين فقد امر الله تعالي الأبن بالإحسان الى والديه المشركين.

3- قال تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) يقول المفسرون - آية تضمنت جميع مكارم الأخلاق التسامح وجمعت قواعد الشريعة أمر ونهيا، فقد جمعت هذه الآية الكريمة للفضائل والمكارم، حسب توجيه ابن عاشور، أن التصرفات الأخلاقية لا تخلو من ثلاث حالات، فهي إما تكون عفوا عن الظلم، وهو المطلوب من قوله تعالى (خذ العفو)، وإماً أن تكون إعراضا عن العمل غير المناسب، وهو المقصود من قوله تعالى: (وأعرض عن الجاهين)، والحالة .الثالثة إما أن تكون فعلَ خير وتحصيل فضيلة وهو المراد من قوله تعالى (وأمر بالعرف).

4- قال تعالي (وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ) بما يسهل إعطاءه، لأن العفو هو السهل والسمح، فقد فسر بعض الصحابة ك ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما، فكلمة العفو نفسها بما سهل من اخلاق الناس وهو اختيار الإمام الزمخشري

10- ماجد الغرباوي، التسامح ومنابع التسامح: فرض التعايش بين الأديان والثقافات بغداد: الدار الحضارية للطباعة والنشر، 2008،ص 20 بتصرف

11- أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل بيروت: دار الفكر، 1420هـ، ج 5،ص 256.

صور التسامح في السنة النبوية

نجد ان سيرة النبي صلي الله علية وسلم تطبيق عملي لمبدأ التسامح الفكري في الإسلام، والذي نجدة في القرآن الكريم فقد كان النبي ﷺ مثالا للتسامح مع الناس جميعا، يحسن معاملتهم يزورهم ويعود مرضاهم، وكان يواسيهم في احزانهم

عن انس بن مالك رضي الله عنة (أنَّ غلامًا يهوديًّا كان يخدُمُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فمرِض فأتاه النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يعُودُه)

صور تسامح المسلمين على مر العصور

ان التسامح الذي دعا الية القرآن والسنة النبوية أصبح حقيقة واقعية وممارسة عملية في المجتمع منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم حتى عصرنا الحالي

1- اهتم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه برعاية كل نفس ضعيفة لا تقدر على كفالة نفسها وتعيش على أرض الإسلام من الذميين، فقد روى ابن سعد: قال عمر بن بهرام الصرّاف: قُرئ كتاب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه علينا: "بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عدي بن أرطأة ومن قبله من المسلمين والمؤمنين سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فانظر أهل الذمة فأرفق بهم، وإذا كبر الرجل منهم وليس له مال فأنفق عليه، فإن كان له حميم فمر حميمه ينفق عليه".

2- عندما فتح عمر بن العاص مصر في عهد عمر بن الخطاب واعطي لأهلها الأمن على أنفسهم وكنائسهم، وامر ألا تهدم كنائسهم ولا ينتقص منها ولا من خيرها شيء ولا يكرهون على دينهم.

3- ولازالت معاني التسامح الفكري محل تقدير الدولة، فقد سنت دولة الإمارات العربية المتحدة قانونا لمكافحة التمييز والكراهية، يجرم كافة أشكال ازدراء الأديان والمقدسات، وخطابات الكراهية والتكفير.

محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير) تونس: الدار التونسية للنشر، 1984،) ج 9، ص 229 بتصرف في العبارة .

أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، مرجع سابق، ج 1، ص 318 16 .فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج 5، ص 225 17 . انظر: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط 3 بيروت: دار المعرفة، 2009، ص 400.

محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ، ج 5،ص 137.

أدلة التسامح في القرآن الكريم

تكريم الإنسان دون النظر الى لونه او جنسه

قال تعالي (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) فقد حث الإسلام على إلغاء الفوارق الطبقية وحرص القرآن الكريم على بيان ان الاختلاف هو اختلاف تكامل في الأدوار والوظائف.

الرحمة والرفق واللين

قال تعالي (وما أرسلناك ألا رحمة للعالمين) إذ نلاحظ من الآية الكريمة أنها تأمر المؤمنين بالعفوَ والتسامح، والتعامل بالرحمة واللين من النبي صلي الله علية وسلم، نبينا هو مثال للتسامح مع الآخرين سواء مسلمين وغير مسلمين فقد وصفته السيدة عائشة عندما سئلت عن خلقة ﷺ، عن أبي عبد الله الجَدَلِي قال: سألتُ عائشة رضي الله عنها، عن خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: «لم يكن فاحِشًا ولا مُتَفَحِّشًا ولا صَخَّابًا في الأسواق، ولا يَجْزي بالسيئةِ السيئةَ، ولكن يَعْفو ويَصْفَح» وكان من أول اعمال النبي ﷺ عندما هاجر من مكة الى المدينة، كتابة صحيفة المدينة، كي ينظم العلاقة بين المهاجرين والأنصار وغير المسلمين، وقد كانت هذه الصحيفة بمثابة اول دستور في التاريخ، وقد نجح النبي صلي الله علية وسلم في حماية حقوق الأفراد، وإرساء مبدأ العدالة والتسامح بين الجميع في المدينة، وظلت هذه الوثيقة شاهدا عظيما على عظمة الإسلام في نشر قيم الرحمة والتسامح بين الجميع.

مشروعية الحوار والتسامح الفكري في الإسلام

يعتبر الحوار السلمي من أهم الأمور التي يتخذها القرآن لترسيخ مبدأ التسامح الفكري، بل هو يمثّل وسيلة قرآنية أساسية لإفشاء السلم وإيجاد التعايش بين مختلف الشعوب، سواء كان اختلافهم من ناحية الديانة أو من زاوية أخرى.

ومن أبرز ما يميز طبيعة الحوار القرآني، كما يرى الدكتور إدريس مقبول، كونها ثقافة قائمة على أبعاد ثلاثية منها بعد المعرفة، ويتحقق في أن يكون مباشرة بلا واسطة، وبعد التعارف ويتجلى وقوعه في بيئة ودية سلمية، وبعد الاعتراف الذي يتمثل في اشتراط ان يكون صدوره طوعا لا كرها.

إدريس مقبول، الحوار الحضاري: دراسة في النظام المعرفي والقيمي القرآني، البحث الثاني الفائز بجائزة قطر العالمية لحوار الحضارات لعام 2018 الدوحة: جامعة قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية واللجنة القطرية لتحالف الحضارات، 2020، ص 26-27 بتصرف .

مميزات التسامح الفكري

- يتميز التسامح وفق رؤية الإسلام بسمات عديدة تجعله فريدا من نوعه؛ إذ يتمتع بخصائص متعددة تنطلق من نظر القرآن إلى الاختلاف، حيث نجد القرآن يؤسس لمبدأ سلمي في الاختلاف الطبيعي باعتبار أنه لا ينبغي ان يشكل سببا للتطرف والصراع فالتسامح والعفو يحولان العداوة الى محبة، قال تعالي (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) فالتسامح القرآني هدفه ليس مقتصر على إفشاء السلام وتحقيق التعايش فحسب، وانما يربط الأمر في الوقت نفسة بتوحيد الله عن طريق التفكر ويؤكد ذلك قولة تعالي(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ)
- التوازن والاعتدال والتوسط ويعني الاعتدال فالاعتدال يرادف الوسطية التي ميز الله بها هذه الأمة، قال تعالى وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ .
- ومن مميزات التسامح القرآني أنه يعالج المشاكل من أصلها، حيث نجده ينطلق، كما سبقت الإشارة إليه، من إزالة الفوارق الطبقية التي قد يؤدي وجودها إلى الصراع والنزاع بين المجتمعات، وجعل المعيار الوحيد للأفضلية، امرا داخليا وهو تقوي الله سبحانه وتعالي فلا يقتصر على تأسيس مبدأ حرية الفكر وإنما يتناول الجوانب الأخرى كحرية التدين وقبول التعددية والاختلاف بأشكاله المتنوعة، والا يكون أيضا تجاه المحسن فقط، وإنما يتجاوز ذلك النطاق إلى الشخص المسيء كما تقدم في الآيات الكريمة.
- قال تعالي (لَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وفي هذه الآية الكريمة تتجلي صور التسامح في القرآن الكريم واضحة وجلية مع غير المسلمين.

21 حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل تفسير النسفي (، تحقيق يوسف علي بديوي) بيروت: دار الكلم الطيب، 1998،ج 3،ص 2.

الخاتمة

بعد التطواف العلمي خلال هذا البحث المتواضع في استجلاء نظرية التسامح الفكري في الإسلام، يمكن القول إننا حاولنا تقديم لمحة متواضعة عن رؤية الإسلام للتسامح الفكري، كما حاولنا تسليط الضوء عن بعض الأليات التي يوجه إليها الخطاب القرآني لترسيخ التسامح الفكري في كافة المجالات. ولعل من أهم ما توصلنا إليه ما يلي:

- إن مبدأ التسامح الفكري حاجة ضرورية في الحياة البشرية، لتفادي الصراع والنزاع والكراهية والعنف الذي قد ينشأ من الاختلاف الذي هو مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية.
- امن واستقرار المجتمع من خلال تحقيق التوافق الاجتماعي والاحترام المتبادل بين جميع الأديان والطوائف والمذاهب. ولذلك فأن التسامح الفكري يؤدي الى احترام حريات الإنسان وحقوقه، كحرية اختيار العقيدة وحرية الفكر وحق الناس في حفظ دمائهم، واعراضهم، وتعتبرها المنظمات الإنسانية والعالمية الحلَّ السلمي الوحيد لإفشاء الأمن والسلم العالمي.
- إن التسامح وفق رؤية الإسلام، حسب نتائج الدراسة، يقوم على عدة دعائم: منها سماحة في العقيدة والعبادة وسماحة في المعاملة، وتكريم الإنسان دون النظر الى لونه او جنسه، كذلك الرحمة والرفق واللين. ويعني ذلك أن التسامح القرآني لا يقتصر على الجانب الإيماني الداخلي، وإنما يتجاوز ذلك ليصل إلى التأثير في الأخر بالإيجاب. ويرمي القرآن وراء ذلك كله إلى تحقيق التعايش بين أفراد المجتمعات، والحفاظ على المشترك الإنساني .
- ان التسامح الفكري يؤدي الى نشر الصورة المشرقة للإسلام، فقاعدة اليسر والسماحة في دين الإسلام من القواعد المهمة؛ لذلك قال النبيّ -صلى الله عليه وسلم-الذي بعث بالحنيفيه السمحة: "إن الدين يسر، ولن يَشادَّ الدينَ أحد إلا غلبه، فسَدِّدوا وقاربوا. وهذه السماحة تتيح الفرصة للدبلوماسيين، والتجار، وطلا بالعلم، بغض النظر عن معتقداتهم وافكارهم، لتعرف اخلاق المسلمين، وحقيقة الإسلام، وواقعة العملي، والتغلب على ما يبثه دعاة العنف والتعصب والكراهية من محاولات تشويه الإسلام.

محمد مصطفي راشد، كاتب وباحث في الفكر الإسلامي، ومهتم بقضايا الإصلاح والتجديد والنهضة الإنسانية .حصل على درجة ماجستير في الشريعة الإسلامية والقانون، تخصص الدراسات القرآنية المعاصرة، من كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر 2016.

المراجع

ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس. (1979). معجم مقاييس اللغة. تحقيق وضبط عبد السالم محمد هارون .بيروت: دار الفكر.

ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي. (1414هـ). لسان العرب. ط 3. بيروت: دار صادر.

الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني. (1415هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق علي عبد الباري عطية. بيروت: دار الكتب العلمية.

الأمم المتحدة. (1948/12/10). الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف. (1420هـ). البحر المحيط في التفسير. تحقيق صدقي محمد جميل. بيروت :دار الفكر.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. (1420هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن تفسير البغوي. تحقيق عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

حسن، سالم عبود. (2016). آيات التسامح في القرآن الكريم. مجلة الجامعة العراقية. مج 34، العدد 1

خواجة، مختار. (2019). التسامح تجاه الأخر المسيء في القرآن الكريم. مجلة أديان مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان العدد 12.

ربابعة، عبد الله محمد أحمد. (2006). التسامح بين القرآن الكريم والعهد الجديد: دراسة مقارنة. رسالة ماجستير في العقيدة/ فرع الأديان. كلية الدراسات الفقهية والقانونية. جامعة آل البيت. الأردن.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. (2009). تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ط 3. بيروت: دار المعرفة.

عباس، عبد الباسط عبد الرحيم. (2012). مبدأ التسامح في إطار المواثيق الدولية والتشريعات العراقية النافذة .مجلة العلوم القانونية والسياسية. كلية القانون والعلوم السياسية-جامعة ديالي. عدد خاص.

علي، سليمان دريع. (2009). حقيقة التسامح في الإسلام. الكويت: مكتبة ابن كثير.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v4.38.9